الأَديبْ و المُفكِّرْ الرَّاحِل

رَمضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد

ليالي الأصفهاني في كتاب الأغاني

جميل بن معمر

مقدمة موسيقية..

مقدمة كلامية...

أبو الفرج: خرج عمر بن أبي ربيعة يريد الشام فلما كان بالجناب لقيه جميل فقال له عمر: أنشدني ، فأنشده:

خَليلَيَّ فيما عِشتُما هَل رَأَيتُما قَتيلاً بَكى مِن حُبِّ قاتِلِهِ قَبلي

ثم قال جميل: أنشدني يا أبا الخطاب فأنشده قصيدة جاء فيها:

فَلَمّا تَواقَفنا وَسَلَّمتُ أَشرَقَت وُجوهٌ زَهاها الحُسنُ أَن تَتَقَنَّعا

تَبالَهنَ بِالعِرفانِ لَمّا رَأَينَني وَقُلنَ اِمرُؤٌ باغٍ أَكَلَّ وَأَوضَعا

قال جميل: هيهات يا أبا الخطاب! لا أقول والله مثل هذا طوال الليالي وما خاطب النساء مخاطبتك أحد!

عمر بن أبي ربيعة: " وكأنه يتابع إنشاده لشعره "..

وَقَرَّبنَ أَسبابَ الهَوى لِمُتَيَّمٍ يَقيسُ ذِراعاً كُلَّما قِسنَ إِصبَعا

جميل: وهل تريدني بعد الذي سمعت منك أن أفاخرك بمخاطبة النساء؟

عمر: حسن يا جميل..ما دمت أنّك لا تريد إنشاد مزيد من الشعر فتعال بنا إلى بثينة حتى نسلم عليها.

جميل: ألا تعلم أنّ السلطان قد أهدر لهم دمي إن وجدوني عندها؟

عمر: ولماذا لا تدلني إلى أبياتها؟

جميل: إذا كنت مصراً فهاتيك أبياتها..إنّها وراء هذه الهضبة.

عمر: تنتظرني هنا حتى أعود.

جميل: بل سأبتعد مسيرة يوم وأنتظرك قريباً من ماء عشيرتي.

عمر: حسن..كما تشاء..

عزف موسيقي..فتاة تغني...

خَليلَيَّ فيما عِشتُما هَل رَأَيتُما

قَتيلاً بَكى مِن حُبِّ قاتِلِهِ قَبلي

أَبيتُ مَعَ الهُلّاكِ ضَيفاً لِأَهلِها

وَأَهلي قَريبٌ موسِعونَ ذَوُو فَضلِ

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا: info@RamadanLawand.com

أَلا أَيُّها البَيتُ الَّذي حيلَ دونَهُ
بِنا أَنتَ مِن بَيتٍ وَأَهلُكَ مِن أَهلِ
بِنا أَنتَ مِن بَيتٍ وَحَولَكَ لَذَّةٌ
وَظِلُّكَ لَو يُسطاعُ بِالبارِدِ السَهلِ
ثَلاثَةُ أَبياتٍ فَبَيت أُحِبُّهُ
وَبَيتانِ لَيسا مِن هَوايَ وَلا شَكلي
كِلانا بَكى أَو كادَ يَبكي صَبابَةً
إِلى إِلفِهِ وَاستَعجَلَت عَبرَةً قَبلي
فتيات يضحكن..

بثينة: أحسنت يا سعاد..أما والله لو كان هنا جميل وشاركنا فيما نحن فيه لكان لنا شأن غير هذا..لنتفرق فإنّي لا أحب أن نباغت من قبل أهلنا ونحن في مثل هذا المجلس

" ضحكات وأحاديث نسائية غير واضحة ثم يزول الضجيج "".....

عمر: " فترة صمت وبصوت منخفض " أنت..يا آنسة.

بثينة: هل تنادي عليّ؟

عمر: أرجوك سؤال واحد وحسب.

بثينة: إسال ما تشاء..

عمر: هل تعرفين بثينة؟

بثينة: إيه بثينة تريد؟ فإنّهن كثيرات في هذا الحي.

عمر: أريد بثينة ابن معمر.

بثينة: طبعاً أعرفها..

عمر: هل تبلغيها رسالة خاصة؟

بثينة: نعم أفعل إن شاء الله على أن تقول لي من هو صاحبها؟

عمر: إنّها من عمر بن ابي ربيعة مبعوثاً من قبل جميل بن معمر.

بثينة: الساعة أنبئها..

عمر: " فترة صمت " أراك تعودين وحيدة؟ فأين بثينة..

بثينة: ألم يصفها جميل لك؟

عمر: بلى..قال أنّها امرأة أدماء طوالة تفرع بطولها كل نساء الحي..

بثينة: وماذا ترى أمامك؟

عمر: أرى امرأة أدماء طوالة..لكن لا أدري إذا كانت تفرع بطولها نساء الحي كلهن..

" يضحك " ثم تشاركه في الضحك "..

بثينة: حسن يا أبا الخطاب..فماذا تريد؟

عمر: " بعد تردد " أريد أن أسمعك كلاماً لجميل.

بثينة: لعلك أتيت وفي ظنك أنّ بثينة كأية امرأة من نسائك اللواتي يزعمن أن قد قتلهن الوجد بك؟ إذا فقد ضل سعيك يا أبا الخطاب.. وسقطت محاولتك دون غرضها..فأنا بثينة غير نساء الحي وغير النساء اللواتي تعرفهن..

عمر: ما أتيت يا بثينة مقاتلاً ولا مهاجياً بل أتيتك وسيطاً..

بثينة: هذا لا يمنعنا من تسليط الضوء على بعض ما قد يخطر في بالك وما تجنه في نفسك.

عمر: " يضحك " والآن هل تسمعين؟

بثينة: إسمع.

عمر: قال جميل:

وَهُما قالَتا لَوَ اَنَّ جَميلاً

عَرَضَ اليَومَ نَظرَةً فَرَآنا

بَينَما ذاكَ مِنهُما رَأَتاني

أُعمِلُ النَصَّ سَيرَةً زَفيانا

نَظَرَت نَحوَ تِربِها ثُمَّ قالَت

قَد أَتانا وَما عَلِمنا مُنانا

بثينة: أهذا كل ما عندك؟

عمر: نعم..هو كل ما عندي..

بثينة: يبدو لي أنّه قد استملى منك لكنه لم يفلح. ومع ذلك فقد قيل:

أربط الحمار مع الفرس ، فإن لم يتعلم من جريه تعلم من خلقه.

أبو الفرج: ذكر الهيثم بن عدي أنّ جميلاً طال مقامه بالشام ثم قدم وبلغ بثينة خبره فراسلته مع بعض نساء الحي تذكر شوقها إليه وطلبها للحيلة في لقائه ، وواعدته لموضع يلتقيان فيه فسار إليها وحدثها طويلاً وقد كان أهلها رصدوها فلما فقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هجما عليهما..

جميل: " ينشد لنفسه "..

إِنّي عَشِيَّةَ رُحتُ وَهيَ حَزينَةٌ

تَشكو إِلَيَّ صَبابَةً لَصَبورُ

وَتَقولُ بِت عِندي فَدَيتُكَ لَيلَةً

أَشكو إِلَيكَ فَإِنَّ ذاكَ يَسيرُ

بثينة: " تفاجئه وتغير صوتها " فشبهة بالرجال على نحو مضحك " ماذا تفعل هنا أيها المتشرد؟

يسمع صوت إشهار سيف من قرابه ثم ضحك بعد قليل.....

جميل: لقد ظننت أنّني أمام خصم عنيد..

بثينة: " تضحك " وماذا وجدت بعد ذلك؟

جميل: وجدت من حملت عقلي معها فهي ترفض أن تعيده إليّ " يضحكان أيضاً "..

بثينة: هيه يا جميل..لقد طال الغياب..ونفدت عيبتنا من أخبارك وشعرك حتى كدت أقدم على ما لا يحسن بمثلي أن تقدم عليه.

جميل: حسن يا بثينة ألم يأن لمن يزودك بإخباره وشعره أن يحظى ببعض ما يحلم به أمثاله؟

بثينة: وبماذا يحلم أمثاله؟

جميل: إنّه شيء لا يثير حاسد الحاسدين ولا يقلق بال العاذلين والواشين..

بثينة: ألا تحدده وتعينه فنقضي لك أو عليك؟

جميل: قبلة يا بثينة..

بثينة: " تنتفض " قبلة وأنا امرأة حصان؟

جميل: ومتى كانت القبلة إنّما يستحق صاحبه الحد والعقوبة إنّها لمم لا يلبث أن يزول بعد أن نستغفر منه الغفار الرحيم..

بثينة: كلا يا جميل..

جميل: إذاً نرضى بما هو أقل من ذلك.

بثينة: هات ما عندك.

جميل: نرضى " ثم ينشد شعراً "..

بلا، وبألا أستطيع وبالمنى ... وبالأمل المرجو قد خاب آمله

وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي ... أواخره لا نلتقي وأوائله

بثينة: " تتخذ موقف الجد " أما هذا ففيه نظر " ثم تنفجر بالضحك ويتبعها هو ضاحكاً بعد ذلك "..

جميل: الحمد لله أنّنا لم نعد بخفي حنين..

وفجأة يرتفع صوت أيها الغادر..لأسفكن دمك..ثم تتلاقى ثلاثة سيوف في اشتباك عنيف وبعد قليل يختفي الضجيج شيئاً فشيئاً...

بثينة: " في خوف " لقد فضحت يا جميل فبالله عليك ألا غادرت هذا المكان.

جميل: " لاهثاً " لا والله لا أفعل حتى أرى ما سيكون من أمر القوم.

بثينة: وإذا فأنت تريد أن ترزأني بكارثتين ضياع أبي وأخي أو ضياعك.

جميل: ومن هما اللذان حلا علي؟

بثينة: إنّهما أبي وأخي..أرجوك أن تبتعد ودعني أتدبّر أمر نفسي فلعل الحي أن يلحقوك كلهم!

جميل: إذهبي أنت.. أما أنا فمقيم وليصنعوا ما يصنعون فمعي صارم قد أخلص القين صقله.

بثينة: أقسمت عليك ألا فعلت ما أقول لك..من أجل حبنا البرىء..

جميل: وماذا تقولين عنّي إن ابتعدت عن الحي؟

بثينة: أقول فارس وازن بين الحب والقتال فأختار الحب حماية لصاحبته..فبالله عليك ألا ذهبت..

جميل: " بعد تردد " حسن..أفعل إكراما لك..

أبو الفرج: وقع بين جميل وبثينة هجر في غيرة كان عار عليها من فتى كان يتحدث إليها من بني عمها فكان جميل يتحدث إلى غيرها فيشق ذلك على بثينة وعلى جميل وجعل كل واحد منهما يكره أن يبدي لصاحبه شأنه ثم اصطلحا وقد ذرفا دموع الندم.

روق: ماذا بك يا جميل؟ أراك اليوم متغير الوجه؟

جميل: وما عساك تفعل لي إن حدثتك بما عندي؟

روق: تنفس عن نفسك على الأقل وتخفف مما يثقل عليك.

جميل: آه يا روق لو إلى ذلك سبيل.

روق: لعله الحب.

جميل: حب تعذبه غيرة..

روق: ممن هذه الغيرة؟

جميل: من فتى هو ابن عم لبثينة..

روق: لعلك تريد أن تعزلها عن الناس؟ وماذا لو تحدث إليها بنو أعمامها؟

جميل: وهل تظن يا روق أنّي أتصرف بعقلي؟ كلما قلت لنفسي هذا الكلام ثم تذكرتها تبادل فتى من هؤلاء فنونا من الأحاديث والضحكات تفجرت أعماقي والتهب قلبي..

روق: وهل فاتحتها بما عند ك؟

جميل: بلى فاتحتها فغضبت..فلا هي تحدثني بعد المغاضبة ولا أنا أحدثها..وفي يقيني أن المغاضبة تشق عليها كما تشق علي..

روق: إنّك والله لمحب أحمق.." فترة صمت " الى أين..

جميل: إلى بثينة.." ينطلق بحصانه "

روق: " يرفع صوته " ألا تؤامرني فيما ستفعل؟

جميل لا يرد بل يتابع الإنطلاق بحصانه ثم يتوقف بعد قليل.....

جميل: " فترة صمت " وبعد يا بثينة؟ " فترة صمت " ألا تردين؟ إذا كنت لا ترغبين في مصالحتي فلماذا قدمت إلى هذا البيت؟ أنت والله تدهشينني..

بثينة: لا تكلمني..

جميل: أو يطالع كل منا صاحبه ثم يسكت؟

بثينة: حتى تكف عن غيرتك.

جميل: " يرفع صوته بحنق " تحرقينني بالنار ثم تطلبين إلى ألا أتوجع؟ تدوسين حبي ثم تصرين على أن أسكت راضياً بما تفعلين؟

بثينة: وماذا أفعل لك؟ هل أهجر قومي لترضى؟ هل أنذر الصمت لتسكت؟ وماذا يقول الناس: إن رفضت التحدث إلى أبناء عمومتي وهم أطهر من أن يفسدوا علي مطارح هواي؟

جميل: كفي عن هذا يا بثينة..لكن يجب أن تعلمي أنّني أتيت خوفاً من فوات الفوت..

" ثم ينشد شعراً وقد تهدج صوته شيئاً فشيئاً " يا بثينة:

لقد خفت أن يغتالني الموت عنوةً وفي النفس حاجات إليك كما هيا

وإني لتثنيني الحفيظة كلما لقيتك يومًا أن أبثك ما بيا

ألم تعلمي يا عذبة الريق أنني أظل إذا لم أسق ريقك صاديًا

بثينة: " يتهدج صوتها " وهل تعتقد يا ج ميل أنني أقل رغبة منك في اللقاء؟ لقد كانت أيام الهجر منية الروح وتوأم النفس قاسية شديدة علي. واني سأعمل برغبتك..وأرجو أن أوفق إليه. فقل لي آخر ما نظمت.

جميل: " ينشد ".....

تظل وراء الستر ترنو بلحظها اذا مر من أترابها من يروقها

بثينة: " تبكي "كلا يا جميل! ومن ترى أنه يروقني غيرك؟

أبو الفرج: عن إسحاق بن إبراهيم قال دخلت على الرشيد يوماً فقال لي: يا إسحاق أنشدني أحسن ما تعرف في عتاب محب وهو ظالم متعب فقلت يا أمير المؤمنين، قول جميل..

رَدِ الماءَ ما جاءَت بِصَفوٍ ذَنائِبُه

وَدَعهُ إِذا خيضَت بِطَرقٍ مَشارِبُه

أُعاتِبُ مَن يَحلو لَدَيَّ عِتابُهُ

وَأَترُكُ مَن لا أَشتَهي وَأُجانِبُه

وَمِن لَذَّةِ الدُنيا وَإِن كُنتَ ظالِماً

عِناقُكَ مَظلوماً وَأَنتَ تُعاتِبُه

قال الرشيد: أحسن والله! أعدها عليّ فأعدتها حتى حفظها وأمد لي بثلاثين ألف درهم وتركني وقام إلى دار الحرم.

الرشيد: " وكأنّه يتابع حديثه " وماذا يفعل الواحد منا حين لا يجد ما يقوله في موقف عتاب يا إسحاق؟

إسحاق: في بعض الإشارة يا أمير المؤمنين ما يغني عن الأطناب في الحديث.

الرشيد: " بعد تفكير وتردد " حتى الحديث بالإشارة في حاجة إلى موهبة خاصة..

إسحاق: كلما حميت عاطفة الحب في القلب ترجمت عنها قسمات الوجد أو دموع العينين..

الرشيد: حسن يا إسحاق..غننا بعض ما عندك من رقائق الكلام..

عزف موسيقي..إسحاق يغني.....

أبائنة سعدى و لم توف بالعهد ولم تشف قلبا أقصدته على عمد

و مهما أكن جلدا عليه فإنني على هجرها غير الصبور و لا الجلد

و أغضيت عيني من رجال على القذى يقولون أقوالا أمضّوا بها جلدي

إذا سمت نفسي هجرها قطعت به فجانبته فيما أسرّ و ما أبدي

فإن يك أمسى وصل سلمى خلابة فما أنا بالمفتون في مثلها وحدي

فأصبح ما منّتك دينا مسوّفا لواه غريم ذو اعتلال و ذو جحد

تجود بتقريب الذي هو آجل من الوعد ممطول و تبخل بالنّقد

و قد قلت إذ أهدت إلينا تحيّة عليها سلام الله من نازح مهدي

سقي الغيث ذاك الغور ما سكنت به و نجدا إذا صارت نواها إلى نجد

الرشيد: هذا شعر حسن وغناء جيد. لكن من هو قائل الشعر؟

إسحاق: إنّه سعيد عبد الرحمن يا أمير المؤمنين..

الرشيد: حسن يا أسحاق فأين العتاب فيه؟

إسحاق: أما العتاب فإنّ خير صورة له هي الصورة التي رسمها جميل بثينة..

الرشيد: وماذا قال فيها؟

إسحاق: قال:

وَمِن لَذَّةِ الدُنيا وَإِن كُنتَ ظالِماً عِناقُكَ مَظلوماً وَأَنتَ تُعاتِبُه

الرشيد: " ينفعل " هذا هو المعنى الذي يسعى الشعراء إليه فلا يبلغونه إنّ جميلاً فيما أرى أرق هؤلاء الناس حاشية وأصدقهم تعبيراً عن ذات نفسه.

إسحاق: لا يدهشنك هذا يا أمير المؤمنين..فجميل كان لا يبحث عن الجمال حيثما يكون بل كان يحب امرأة بالذات ولو قد اجتمع حب الشعراء كلهم في بيت من الشعر لوجدت في فلتات لسانه ما ينهض لحب كل الشعراء ويتجاوزه أحوالاً عديدة..

الرشيد: صدقت يا إسحاق وقد طالما قلت في نفسي ليت أنّي أملك مثل الذي ملكه هذا الرجل من الصدق في الحب والأمانة في الحفاظ والقوة في الأداء..

موسيقى نهاية..